الولادة المجهضة للشرق

الحلقة الثانية

فساد الثمار المغاربية

المغاربيون على خطى المشارقة في الذبابية

وعلى درب المشرقيين ومنوالهم سيسير المغاربيون، حال:

(1) – المتفلسف، والحكواتي، والشاعر المغربي: محمد عزيز الحبابي

(1922 – 1993) **الذي تخرج من جامعة السوربون الفرنسية وتأثر بالفيلسوف الفرنسي هنري برجسون** { (*Henri Bergson (1859 – 1941* } **صاحب التقليعة: "الجوانية". والأخير، كأي فيلسوف قبله وبعده، كان قد امتهن البحث عن حقائقه المطلقة في اللغة لوحدها، ولم يكن عقله معداً لفهم نسبية أينشتاين** **الرياضياتية، ولا كانت خلاياه العصبية بقادرة على تحمل دفق النقلة النوعية التي أحدثتها النسبية في فهم "الزمن"، فعارضها ببلاهة المتفلسفة بمفهوم "الديمومة"!.**

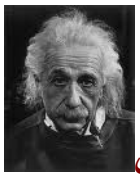

وكان من أثر هذا التتلمذ لمحمد الحبابي على الجواني الفرنسي أن تأثر بأستاذه، حال كل المبتعثين من جيله في العلوم الإنسانية والآداب للخارج.

وقد أصدر سنة 1954 كتابا باللغة الفرنسية حمل عنوان: (*De L'Être à la Personne* **) "من الكائن إلى الشخص"، أتبعه بعد عامين بكتاب حمل عنوان: (***Liberté ou Libération***) "الحرية أو التحرير" مثلا أطروحته للدكتوراه.**

حيث ذهب يشقشق الكلام في أطروحته حول شخصانيات كل من الألماني ماكس شيلر (1874 – 1928) (*Max Sheller***)** **، والفرنسيين: شارل**

رينوفيي (1813 – 1903) (*Charles Renouvier*) 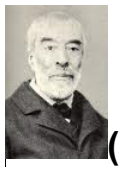 وإيمانويل مونيي

(*Emmanuelle Mounier*) (1905 – 1950) ...إلخ.، في اغتراب كامل في المكان والزمان!.

وكملفق جذري، فقد وجدناه يحاول التقريب ما بين الفكر الإنساني الغربي والفكر العربي الإسلامي في كتاب صدر له باللغة الفرنسية سنة 1961 حمل عنوان: (*Du clos à l'ouvert*) "من المغلق إلى المفتوح".

ثم أتبعه بكتاب: "الشخصانية الإسلامية!!!!!!!!!!" سنة 1964.

وهو كتاب تلفيقي شاذ في شكله ومضمونه، على ما اعتاد هذا الجيل من إسقاطات، لما لقنوه وتلقفوه في الغرب، على الإسلام، وهو منه براء، حيث أن أفكار برجسون ومونيي هي التي كانت توجهه.

وحال المُتياسر (نسبة إلى اليسار الشيوعي) المغربي:

(2) — عبد الله العروي (1933 -...) في نزعته "التاريخانية" المتطرفة بعد أن متح عصارتها من الفكر الماركسي ليقرر بغرور، متعالماً على بني جلدته بمعارف بهرج نقلها بدوره من الغرب: أن لا تقدم للعرب والمسلمين سوى بإحداث قطيعة مع الماضي، وذلك بنبذ التراث والتعلق بالعصي السحرية لصبيان النظرية الماركسية المراهقين في الغرب من شاكلة:

ـ الإيطالي: أنطونيو جرامشي (1891 – 1937) (*Antonio Gramci*)

مؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي، الذي ربط في فلسفته التي

يســميها "فلســفة الممارســة" التحليــل الماركســي، ينيــديتو غروتشــة (*Benedetto Groce*) (1866 - 1952) وبمسـائل المثقفـين وبتاريخ إيطاليا الحديث،

ـ وبأفكـار المجـري : جـورج لوكـاش (*György Lukács*) (1885 - 1971) مؤلـف كتب: "التـاريخ والـوعي الطبقـي"، و"تحطيم العقـل" و"دراسـات فـي الواقعيـة" وغيرهـا، والمتـأثر بـدوره بصـديقه المخضـرم التخصصـات الألمـاني الاقتصـادي والسياسـي وعـالم الاجتمـاع: مـاكس فيبـر (*Max Weber*) (1864 - 1920) ، صـاحب كتـاب: "الأخـلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" الذي تعرف عليه أثناء دراسته بألمانيا، بما يشبه الدمى الروسية!

أو:

(3) - المغترب الجذري في الذات والمكان: الفرنسي المتجنس، الجزائري

الأصـل، محمـد أركـون (1928 -....) ، خـريج الفلسـفة ومدرسـها بجامعة السوربون منذ 1968، والمجاهر بزندقته، لغربته في الذات والمكان والزمان، بحكم التنشئة والتكوين في المدرسة الفرنسية، المحكومة بقانوني: رئيس الحكومة الفرنسية: جول فيري (*Jules Ferry*) (1832 - 1893) العالمانية لسنتي 1881، و1882، تحت الجمهورية الثالثة المحاربة للدين بتأميمه.

يقول هذا المغسول، بوجوب رفع القداسة عن القرآن الكريم والتعامل معه على أنه منتوج بشري!!!، ويشكك في مصدري الإسلام بدون دليل أو برهان، يقدمه بين يديه سوى التهريج وشقشقة الكلام.

من مؤلفاته:

أ) نقد العقل الإسلامي،

ب) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي،

ت) من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني،

ث) من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟

ج) قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم؟

ح) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي،

خ) القرآن: من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني،.....وغيرها.

وقد دأب أركون على المتح من مقولات المثقفين والإناسيين الفرنسيين المشروطة بساحتها الفرنسية المحضة، محاولاً التعدية بها وبهم إلى الإسلام والمسلمين، في تمثُّل للمستشرق القديم بثوب جديد بعد أن مات الاستشراق كمهنة، خصوصاً، بعد الضربات القاضية التي تلقاها حقل الاستشراق من: المصري: أنور عبد المالك (1924 - ....)

في كتابه: "الاستشراق في أزمة" (*L'Orientalisme en Crise*) سنة 1963 م، ونورمان دانييل في كتابه: "الإسلام والغرب: صناعة صورة" (*Islam and the West; The making of an Image*)

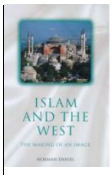

الصادر سنة 1993، والفلسطيني: إدوارد سعيد

في كتابه: "الاستشراق".

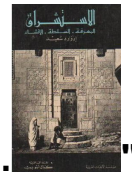

وأركون، وهو يصنف ضمن الزنادقة المجاهرين بزندقتهم، لا يكل ولا يمل من التطويح بآخر تقليعة نقدية فرنسية كالسيميائية، والتفكيكية ويحاول إسقاطها لجهله وبلاهته، على النص الأول للإسلام: القرآن الكريم.

وبما أن الساحر لا يفلح حيث أتى، فكذلك نفث هذا الزنديق المعلن.

قلت:

وخاض بعضهم بتخرص وتعالم واهم في "العقل العربي"، بعد أن قرؤوا:

أ) النقديات الثلاثة للفيلسوف الألماني: كانط (ستأتي)،

ونقد البيولوجي والنفساني، والمنطقي، وعالم المعرفة السويسري: جان بياجيه (*Jean William Fritz Piaget*) (1896 - 1980) ، ل العقل في كتاب: "نقد العقل العلمي"، كما فعل المغربي:

(4) – محمد عابد الجابري (1936 - 2010) المتخرج في الفلسفة من كلية الآداب بالرباط، بعد أن كان قد فشل على مدرجات جامعة دمشق في أن يكون رياضياتيا، على خطى زعيمه السياسي: المهدي بن بركة (1920 - 1965) ، بسبب استعمال الأستاذ المحاضر لحزمة من الرموز الرياضياتية على السبورة!!!!!، انغلقت عليه، ليتحول لتوه، ويا عجباه ! إلى الفلسفة، مع أنه كان لا يميل إليها!، بحسب ما أورد عن نفسه في كتابه: وجهة نظر.

قلت:

وكان حافزه الأول في أن يكون رياضياتيا، انبهاره بشخص زعيمه: ابن بنبركة، وغسيل الدماغ المتقدم الذي خضع له وآلاف الضحايا من جيله، بداخل الحزب، وهو يتجرع دون وعي الدعاية الحزبية التي كانت قد أشاعت عن الزعيم، أنه رياضياتي!، بينما مستواه في الرياضيات لم يكن يتجاوز مستوى الإجازة!!!!!!!!!!، التي حصل عليها من جامعة الجزائر، أي مستوى الشهادة الابتدائية، مقارنة مع البكالوريا!

وبمعنى آخر ف ابن بركة مثل يومها الأعمش وسط كل عميان الحزب من هذا الجانب.

وما كان الجابري ليدرك في مثل سنه، وغسيل الدماغ المتقدم الذي حصل بالنفث والدعاية الحزبية، أن هذا المستوى الجامعي الهزيل، لا يفتح باباً في الرياضيات. {أنظر على موقعنا: أين كانت القرويين وأين كان رجالاتها........، ابن بركة والرياضيات}.

وهذه الكوابح الموضوعية والذاتية الهائلة، لم تمنعه بدوره في أن يتحول إلى متخصص لا يشق له غبار في تحليل وتبضيع ما أسماه ب "العقل العربي"!!!!!!!!!، ويبحث في بنيته من خلال تشقيق الكلام في اللغة العربية فحسب! بعد:

1) أن أخذ تعريف العقل من المعجم التقني والنقدي للفلسفة (Vocabulaire Technique et Critique Philosophique)

للفيلسوف الفرنسي: أندري لالاند (André Lalande) (1867 - 1963) ،

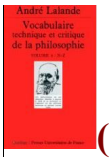

2) وتبنى الفرضية اللغوية المنسوبة إلى كل من:

أ) اللساني والأنثروبولوجي اليهودي الأمريكي الجنسية: إدوار د شابير (Edward Sapir) (1884 - 1939) ،

ب) وتلميذه اليهودي: بنجمين لي وورف (1897 - 1941) (Benjamin Lee Whorf) ،

وتعرف هذه الفرضية بفرضية: "شابير - وورف"، التي تقول ب "النسبية اللغوية" (Linguistic Relativity)، أي: كون الاختلافات البنيوية بين اللغات المختلفة لا تحد ولا تحصر، وأن كل لغة عبارة عن نظام أو بنية على المستويين الصوتي والأسلوبي، مكونة لمنظورية استقصائية ومتناسقة للعالم.

وبمعنى آخر:

فلا اتصال مع العالم للمتكلمين سوى من خلال ما تتيحه لهم لغتهم من تصورات.

وتقف هذه الفرضية على طرفي نقيض مع فرضية أخرى تقول: ب "الحتمية اللغوية" (*Linguistic determinism*)، أي: ارتباط الثقافة واللغة بشكل وثيق.

وقد توصل شابير و وورف، وخصوصاً الأخير، إلى هذه الفرضية من خلال دراسات قاما بها على لغات وثقافات الهنود الحمر الأمريكيين.

ولم يتفطن الجابري، وأنى له ذلك !، والهاجس السفسطي عنده مقدم على العلم، والهوى الإيديولوجي غلاب، والذبابية الثقافية طاغية على فكره، أن مثل هذه الدراسات المحلية، التي يطوح بها: اللسانيون الأنثروبولوجيون (*Anthropological Linguistics*)، وعلماء النفس (*Psychologists*)، واللسانيون النفسانيون (*Psycholinguistics*)، واللسانيون العصبيون (*Neurolinguists*)، وأصحاب علم المعرفة (*Cognitive Scientists*)، وعلماء اجتماع اللسانيات (*Linguistic anthropologists*)، وفلاسفة اللغة (*Philosophers of Language*)،....قلما تستند إلى حقائق علمية ثابتة تنقطع لها الرقاب، كما في العلوم الفيزيائية الصلبة.

{أنظر على موقعنا نموذجا لاشتغال هذه الهشاشة في العلوم الإنسانية في الغرب، تحت عنوان: "صناعة الفقه (11): المجتمع والأنموذج الحداثي الغربي: تقييم نقدي"}.

قلت:

وقد قال بارتباط الفكر بالثقافة على الصعيد الأوروبي، لأغراض إيديولوجية، كل من:

أ) الفيلسوف، والشاعر، واللاهوتي، والناقد الأدبي: يوهان جوتفريد فون هردر (*Johann Gottfried von Herder*) (1744 - 1803) معبراً

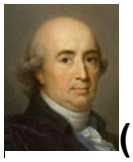

عن الفترة الرومانسية الألمانية، الذي اعتبر في كتابه: "دراسة حول أصل اللغة" (*Über den Ursprung der Sprache*) المنشور سنة 1772، اللغة بمثابة تعبير عن روح الأمة.

وهو يقول بأن:

الشاعر هو خالق الأمة حوله

وسيروج لهذه الفكرة أكثر الفيلسوف والدبلوماسي والفقيه اللغوي:

ب) فيلهلم فون همبولت (*Wilhelm Von Humbolt*) (1767 - 1835)،

قبل أن ينقل بعض الألمان اليهود الفكرة إلى أمريكا، كما سيفعل:

ت) اليهودي الأشكينازي الأصل: فرانتز بواس (*Franz Boas*) (1858 - 1949)

الذي قام بدراسة إثنية على شعب الإسكيمو.

وقد عرف بواس الثقافة بكونها:

عبارة عن مجموعة من المعتقدات والعادات والمؤسسات التي تحدد بتفرد المجتمعات المختلفة.

وهو مفهوم اشتقه من التعريف الألماني للثقافة (*Kultur*) بكونها: "المجموع الروحي المتكامل".

وسيؤثر هذا الأخير على:

إدوارد شابير، الذي سيتأثر به عدة تلاميذ، لعل أشهرهم تلميذه: بنجمين لي وورف.

قلت:

وقد تعرضت هذه الفرضية للنقد اللاذع ودحضها كل من:

عالم النفس الاجتماعي الأمريكي:

أ) رودجر ويليام براون (*Roger William Brown*) (1925 - 1997)،

صاحب كتاب: "علم النفس الاجتماعي" (*Social Psychology*)

المنشور سنة 1965،

ب) واللساني العصبي اليهودي الأصل: إيريك هاينز لوننبرغ (*Eric Heinz Lennenberg*) (1921 - 1975)، صاحب كتاب: "الأسس البيولوجية

للغة" (*Biological Foundation of Language*) الذي قال بفكرة فطرية اقتناء اللغة، التي سيطورها لاحقاً: اللساني الأمريكي: نعام تشومسكي

(*Noam Chomsky*) (1928 -.....)،

حيث أخضعا الفرضية لتجارب باختيار موضوع إدراك اللون كمحك، لتسقط الفرضية من الاعتبار على هذا المحك.

وهو ما أثبتته نهائيا تجارب أخرى قام بها سنة 1969 كل من:

أ) الأثنوبيولوجي والأنثروبولوجي واللساني: برنت برلين (*Brent Berlin*)

المتخصص في دراسة شعب المايا في المكسيك،

ب) وبول كي (*Paul Kay*) (1934 -.....)

حيث استعملا أكثر من مائة لغة للتعرف على كيفية تحديد الألوان فيها، وسطرا ذلك في كتاب حمل عنوان: " المحددات الأساسية للون، عالميته وتطورها" (*Basic Color Terms; Their Universatility and Evolution*) .

وقد استنتجا: بأن تحديد اللون يخضع لمحددات عالمية.

قلت:

هذا من جهة الدليل الخارجي العام، على أن هذه العلوم الهشة يغلب عليها هوى الباحث وقناعاته الإيديولوجية، وبكونها لا ترقى قط إلى مستوى العلوم الصلبة، لأنها قلما تخلو من مغالطات مقصودة وغير مقصودة.

أما الدليل الداخلي القاطع فنجده عند وورف نفسه الذي قرر في دراسته على لغة الهوبيين (*Hopi Language*) من هنود أمريكا الوسطى، بأن لغتهم:

لا تحتوي على مفردة، أو صيغة نحوية، أو بناء، أو عبارة للتعبير مباشرة عن "الزمن"، أو وجود ماض، وحاضر، ومستقبل.

إلا ليفند هذا التقرير، اللساني اليهودي: جي دويتشر (*Guy Deutscher*) (1969 - ....) مدرس اللغات الشرقية القديمة بجامعة ليدن، هولندا، وصاحب كتاب: "تكشف اللغة"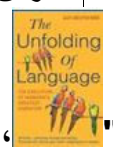

، بقوله:

تحتوي لغة الهوبيين على العديد من الأزمنة المختلفة، إلا أن وورف لم يزر الهوبيين في أوطانهم الأصلية، وفهمه للغة الهوبية اكتسبه من الهنود المقيمين في نيويورك!

قلت:

ولم يكتف الجابري كذبابي، باستعارة فرضيتيه المهزوزتين من الغرب، بل استعار أيضاً، كأي ذبابي لا يدري ما يخرج من مخه، لافتقاده البوصلة الرياضياتية المنطقية الموجهة، آلياته التحليلية التي تعاني بدورها من ذات الهشاشة المعرفية، أي: كونها آليات إيديولوجية وليست علمية ولا حيادية.

من هذه الآليات الإيديولوجية التي متح منها الجابري بكثافة:

أ) نقديات الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانط (1724 - 1804) للعقل،

ب) فلسفة التاريخ عند هيغل (*Georg Wilhelm Friedrich Hegel*) (1770 - 1831) وعند تلميذه كارل ماركس (*Karl Marx*) (1818 - 1883)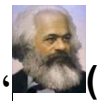، وكلاهما مشروطتان بظرفهما الألماني المأزوم يومها،

ت) المنهج الإبستيمولوجي التكويني البنيوي، عند جان بياجيه (*Jean William Fritz Piaget*) (1896 - 1980) ،

ث) الإبستيمولوجية العقلانية عند كل من أندري لالاند (*André Lalande*) (1867 - 1963) 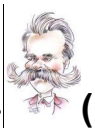، و غاستون باشلار (*Gaston Bachelard*) (1884 - 1962) ،

ج) والنقد البنيوي، بحسب النسخة المعربة التي نشرها الذبابي المصري صلاح فضل وروج لها في العالم العربي، قبل أن تأتي على هذه التقليعة وتقصيها من الحقل نقيضتها المعرفية: التفكيكية.

وقد مهد الجابري لمشروعه بكتاب:

"نحن والتراث، قراءات معاصر في تراثنا!!!الفلسفي!!!" ثم أتبعه بأربعة كتب:

أ) "تكوين العقل العربي"،

ب) و"بنية العقل العربي"،

ت) و "نقد العقل السياسي العربي"،

ث) "نقد العقل الأخلاقي".

مستبطنا، كالهر يحاكي مشية الأسد، الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانط (1724 - 1804) في ثالوث نقدياته:

أ) نقد العقل الخالص،

ب) نقد العقل التطبيقي والسلوكي،

ت) نقد الحكم،

قلت:

وكان قد سبقه إلى مثل هذه التخرصات الإيديولوجية، في زمانهم وظرفهم، العديد من الشوفينيين العنصريين الفرنسيين أمثال:

i. الكونت ده كوبينو (*Le Comte de Cobineau*) (1882 - 1816) ،

ii. وإرنست رينان (*Ernest Renan*) (1892 - 1823)   ، والأنثروبولوجيين:

iii. و ده لابوج (*De Lapouge, Georges, Vacher.*) (1936 - 1854) ،

iv. والألماني: أوتو أمون (*Otto George Ammon*) (1916 - 1842)،

v. والأنجليزي هوستون ستيوارت لين (*Chamberlain, Houston. Stewart.*) (1855 - 1927)   بالنسبة للأعراق العليا والأعراق الدنيا من منطلق عنصريتهم الفجة وداروينيتهم المتطرفة.

لذلك، وجدناه يسقط بسهولة مثلهم في شراك:

أ) التحيز الجغرافي المقيت، في مقابلة المسلمين الشرقيين بالمسلمين الغربيين!

ب) والشعوبية الفجة، بإطراء جانب على آخر،

ت) والعصبية الرعناء المتهورة، بتفضيل شعب على آخر،

ثم، لم يفتأ أن طوح بغرور، بوجود قطيعة معرفية   بين علماء الشرق الإسلامي ورائدهم عنده الذبابي: ابن سينا، وعلماء الغرب الإسلامي، ورائدهم عنده الذبابي: ابن رشد الحفيد، ناقما على الأول غنوصيته وهرمسته ومكبراً في الثاني عقلانيته!!!!!!!، بينما المفاضلة بين الرجلين على هذا الأساس شكلية ولا تستقيم، مادام كلا الرجلين ابن سينا وابن رشد، يعتبران ذبابيين معرفيين بامتياز، يمتحان معاً من الفلسفة الإغريقية، وليس من الفكر الإسلامي الأصيل.

أضف إلى ذلك، أنهما معا كانا يجهلان اللغة اليونانية، ولا يحيطان بالمسائل والمفاهيم التي يشرحونها سوى من خلال ترجمات ثانوية من لغات وسيطية خائنة، يغلب عليها الحدس والتخمين والرجم بالغيب كلما صادفت انغلاقاً في مفردة من المفردات اليونانية.

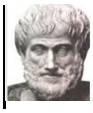

فإذا عرفنا بأن التيارين معاً: الغنوصي الفيثاغورسي {نسبة إلى الفيلسوف فيتاغورس (580 ق.م - 497 ق.م)} والعقلاني الأرسطي {نسبة إلى الفيلسوف أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م)} موجودان في هذه الفلسفة أصالة، وأن ابن سينا كصنوه ابن رشد حَطبة ليل في كلا المنزعين، فما يفيد العرب أو المسلمون من هذه التراثية الإغريقية، المرتبطة باللغة اليونانية والمعبرة عن خصوصية تفكير الإغريق؟

ثـم مـع افتـرض أن العرب أو المسلمين أرادوا أن يقفوا علـى تفكيـر الإغريـق بغيـة دراسته أو مقارنته مع تفكيرهم وتفكير غيرهم من الشعوب الأخرى، فما يحسن بهم أن يأخذوا نظرتهم من ذبابيين لا يجيدون لغة الإغريق!

قلت:

ولم يتفطن الجابري وهو يُشَرِح العقل العربي!!! من خلال ابن رشد العربي، المستبطن ل أرسطو الإغريقي، أنه في الحقيقة لا يبحث في كيفية اشتغال العقل العربي الواجهة، بل في العقل الإغريقي القابع في الخلفية وراء الذبابي: ابن رشد!.

ثـم، كيـف يسـتقيم فـي منطق الأشـياء أن نصنف ابن رشد كشـارح للمنظومـة العلميـة لأرسطو ب ضمن العقلانيين، وأن نصنف ابن سينا ضمن الغنوصيين، وللأخير شرح للمنظومـة العلمية لأرسطو خصص لها كتابه: "الشفا" ؟

ثم أين هي عقلانية ابن رشد المزعومة وهو القائل في معلمه الإغريقي أرسطو بأنه:

ملك أرسله الله لتعليمنا!!!!!!!!!!!!

وهو ما لا يمكن أن يقول به عاقل في الإسلام.

مما ينبئ عن مدى عقلانية أبي الوليد.

قلت:

ولم يدر الجابري، كسائر الذبابيين العرب الفاشلين المتطفلين على موائد الغرب، من خلال اختياره لأشخاصه ولمعارفهم كمحك للنظر، واستعارته هو نفسه لآلياته التحليلية والمعرفية من الغرب، دون إبداع يذكر، أنه لا يؤسس في مشروعه لكيفية اشتغال العقل

العربي بقدر ما يؤسس لاشتغال العقل الإغريقي خاصة من خلال ذبابية ابن رشد وتطفله على هذه التراثية، والعقل الغربي عامة، لذبابية الجابري نفسه المركبة فوق ذبابية ابن رشد!

قلت:

وعند الجابري أن الغرب تقدم لأخذه بعقلانية أبي الوليد، المترجم لفكر أرسطو، وتأخر المسلمون لأخذهم ب الغنوص المتهرمس الشرقي، بينما الواقع التاريخي، يثبت أن الأوروبيين تقدموا عندما أحدثوا قطيعة معرفية مع الفكر الأرسطوطالسيس ومنطقه، عندما تبنوا بالحرف الأورجانون الجديد لفرانسيس بيكون، لم يهتموا بكتابات أبي الوليد كشارح لأرسطو، سوى لتدارك بعض النصوص التي افتقدت في الغرب للرجل وترجمت إلى اللغة العربية، وليتجاوزوه ومنطقه وفكره كله، حيث لم يزد أبو الوليد على تكريس الدخيل الإغريقي على الإسلام، الذي سبقه إليه ذبابيون قبله، إلى درجة أن تسرب المنطق الأرسطي على أيديهم إلى ميداني النحو وأصول الفقه، حتى غلبت ومنذ القرن السادس الهجري، الأقيسة الأرسطية الحملية على قياسات الفقهاء، وهي أقل شطحاتهم!

ومن استنتاجات الجابري الخاطئة أيضاً، اعتبار اللغة العربية وقفاً، من خلال تصاريفها ومفرداتها على الأعرابي البدوي الأجلف البوال على عقبيه، واصفاً إياها بالقصور وبالتخلف وباللاتاريخية، باعتماده للوصول إلى هذا الحكم الكاسح، فقط على القواميس اللغوية، متجاهلا القواميس التقنية مثل: كتاب: "التعريفات" للجرجاني، وكتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي، و"الجامع للعجب العجاب" للأنطاكي، و"كشاف اصطلاحات العلوم" للتهانوي، و"معجم الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" لابن البيطار، وغيرها من المعاجم التاريخية.

ومجرد وجودها يفند قطعاً دعواه المتهافتة في الجمود واللاتاريخانية.

والخلاصة هي:

أن الجابري، القليل الفطنة والذكاء، والفاشل في دراسته، والمتفلسف مكرها لا بطلاً خارج الإسلام، حال كل من استعرضنا نبذ من سيرتهم من مشارقة ومغاربة، أثبت بمشروعه شيئاً مهما لم يكن له بمقصد، وهو: أن:

أ) الفلسفة كممارسة،

ب) والعقل العربي، ممثلاً في الذبابي الواجهة: ابن رشد، لسان حال أرسطو القابع خلفه، والمستبطن للعقل الإغريقي من خلال شرحه لأعمال أرسطو،

هما وجهان لعملة واحدة: منظور الإغريق إلى عالمهم.

لذلك، ليس غريباً أن تظل الفلسفة وعقلانية الإغريق:

أ) مجنونتا مسكن في الإسلام،

ب) وبلا تاريخ عربي.

منذئذ، والآن، وإلى يوم الصعق.

الجابري وتفسير القرآن

وبما أن كل دارس للغة العربية لا يمكن أن يبدئ أو يعيد قولاً فيها من دون التعريج على القرآن الذي خلدها، فكان منتظراً من الجابري أن يقول شيئاً ما عن القرآن.

ومن سوء حظ الجابري وطالعه أنه اختار أن يدلي بدلوه في هذا الموضوع من خلال مجال يستعصي في المطلق على أمثاله من الذبابيين أن يقدموا فيه أو يؤخروا، وهو: التفسير.

فألف كتابين يمكن اعتبارهما مكملين لمشروعه في نقد العقل الإغريقي والغربي:

أ) "مدخل إلى القرآن الكريم" (2004 م)،

ب) "فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح!!! حسب ترتيب النزول"، من ثلاثة أجزاء (2008 م - 2009)،

قلت:

من الواضح أنه لا يوجد رابط منطقي بين مشروع نقد العقل الإغريقي وتفسير القرآن، النازل ب لسان عربي مبين، لتخارج المرجعيتين في المطلق.

فكون القرآن نازل بلسان عربي مبين، بنص القرآن، يعني أنه بين من نفسه، من خلال اللغة، ولا يحتاج إلى تبيان (تفسير)، خارج تبيان الرسول ρ الموثق النقل، لما أغلق أو أبهم منه على المخاطبين العرب أصحاب السليقة.

ودليلك القاطع على أن القرآن بين من نفسه، هو أن كل الكتب التي حاولت تفسير هذا المفسر من نفسه، قديمها وحديثها، لم تزد على أن تكون من تحصيل الحاصل الذي لا يزيد معارفنا من قطمير.

وهل من عجب أن تتراكم هذه التفاسير، وهي بالمئات، والتي لا تفسر شيئاً، على الرفوف لا تشبع نهم جائع ولا تشفي غليل عطشان ؟.

بين البحث العلمي الرصين والزندقة الفجة

المتتبع الواعي لمؤلفات الجابري حول القضايا الإسلامية لا يفوته أن يلحظ فيها جانباً من الزندقة المراوغة، التي تتخفى وراء الخطاب، على خلاف الزندقة المجاهرة والمباشرة التي تفوح من الذبابيين الآخرين، حال: زندقة الجزائري العلماني المتفرنس: محمد أركون (1928 - ...)، والنصيري الوثني: ادونيس **، والسوريين: جلال العظم، وطيب تيزيني** **، والمصريين: حسن حنفي، ونصر حامد أبي زيد، ..وغيرهم.**

قلت:

ولا يختلف الجابري، عن هذا الرهط، كيساري عايش وزامل صناديد زنادقة الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، الذين لم يركعوا لله ركعة في حياتهم، عن هؤلاء، سوى في الشكل، حيث يلجأ هو إلى عملية تمويهية مراوغة وغير مفصحة، تلوذ بالسفسطة، كلما حوصرت في موطن حرج أو أحيط بها وظهرها إلى الحائط، فيعمل جاهداً على إخراج خيط زندقته بسلام من عجين ما ينفث من أفكار يقول فيها بالشيء وضده، إلا أن اختياره ل التفسير كموضوع لبحثه، واقتفاءه آثار المستشرقين في تفسير القرآن بحسب ترتيب النزول، عراه بصفة نهائيا لتظهر سوءة زندقته بارزة للعيان، لا تخفى منها خافية، مهما تدثر بأوراق التوت.

ذلك أن الله Ψ يقول في الآية 9 من سورة الحجر:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾

أي أن القرآن الذي بين أيدينا محفوظ بحفظ الله في ترتيبه.

وهو ما يؤيده الواقع.

فأن يأتي دعي، أو مغرض، لا يدري ما يخرج من مخه، ويطوح بإمكان فهم القرآن أحسن، بإعادة ترتيب سوره بدعوى من الدعاوى المتهافتة التي لا برهان له عليها، دليل قاطع على كفره أو زندقته، لاعتراضه على الآية المحكمة أعلاه.

لذلك، نحن لا، ولن نستغرب بتاتا أن يحاول بعض أعداء الإسلام الطعن بالنقض عل بعض دعاوى القرآن، مادام هذا من حقهم، وبنص القرآن، لكن بدليل يقدمونه بين يدي دعواهم، وهو ما لا يستطيعون إليه حيلة ولا سبيلاً، وبنص القرآن كذلك.

فيحصدون الفشل في كل مرة ويرجعون بخفي حنين، على ما أثبتت كل وقائع التاريخ ولا تزال..

والمعروف عند الخاصة، أن ثلاثة من المستشرقين حاولوا في الماضي الطعن على هذا الترتيب التوفيقي للقرآن الكريم وهم:

أ) الألماني: أتو برتزل (*Otto Pretzl*) (1893 - 1941) ، أستاذ اللغات السامية بجامعة ميونيخ،

ب) واللاهوتي البريطاني: ريتشارد بل (*Richard Bell*) (1876 - 1952) أستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة، الذي ألف ترجمة للقرآن الكريم (1937 - 1941) من جزأين، تحت العنوان الملفت: "ترجمة القرآن بإعادة ترتيب!! نقدي للسور" (*The Qur'an translated with a critical re-arrangement of the Surats*).

وقد حاول في هذه الترجمة النقدية بزعمة إخضاع النص القرآني لـ"النقد الأدنى" (*Lower Criticism*)، المعمول به بالنسبة للعهد القديم. وهو حقل بحثي يسعى إلى الوصول إلى النصوص الأصلية للعهد القديم من خلال الترجمات المتوفرة، بغرض تحقيق النقاء النصي المفقود في هذه النصوص الثانوية، حيث ضاعت النصوص الأولية ولم يبق لها اثر..

وتعجب أن يحاول هذا اللاهوتي هذه المقاربة، مع أن نص القرآن الكريم، نص أولي لا زال يحتفظ بلغته الأصلية، وليس بثانوي، حال نصوص العهد القديم، التي لا تتوفر سوى على ترجمات، مع ضياع الأصول في دهاليز التاريخ.

ف النقاء النصي، المستحيل التحقيق بالنسبة لنصوص العهد القديم، متحقق بداهة في النصوص القرآنية.

مما يجعل هذه الآلية غير ذات جدوى.

لذلك لم نستغرب، لا نحن، ولا باقي المستشرقين، في أن تفشل هذه المقاربة! لأنها تتسم باستعمال آليات ومناهج في غير محلها وعلى غير موضوعاتها الأصلية، التي لم تثمر فيها أصلا، على ما تشهد به النقدية التاريخية للكتب المقدسة في الغرب {انظر لمزيد حول هذه المقاربة الفاشلة على موقعنا: "التأويل بين الشط اللاهوتي والتخرص الفلسفي والتعالم الواهم"

.

ت) والفرنسي: ريجي بلاشير (*Régis Blachère*) (1900 - 1973)

الذي ألف ترجمة فرنسية للقرآن، كرجع صدى لترجمة اللاهوتي ريتشارد بل، وحملت عنوان:

"القرآن: ترجمة وفق محاولة لإعادة ترتيب السور" (*Le Coran; Traduction selon un essai de reclassement des Sourates*)، (1949 - 1951)

.

وقد اعتمد ثلاثتهم على ترتيب النزول الذي وضعه المستشرق الألماني تيودور نولدكه.

قلت:

فإذا ما علم القارئ، بالإضافة إلى هذه الاعتبارات المنهجية الموضوعية، بأن كل الأخبار التي لها تعلق بالترتيب التاريخي للنصوص، وبأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ،...إلخ..

أ) تتأرجح بين الضعف والوضع ولا تصلح بمرة للاحتجاج،

ب) وأنها متعارضة في أحايين كثيرة،

فسيستقر عنده أن محاولة إعادة ترتيب السور، باعتماد هذه الأخبار الضعيفة عملية مستحيلة في المطلق.

وغير خاف على أحد أن المنهج العلمي السليم والصلب يقول:

إنك لا تستبدل الترتيب التوقيفي الموجود الراجح ب ترتيب ظني تخرصي مبني على شفا جرف.

وهو أساس فشل هذه المقاربة اللاهوتية، التي لم يعد يعرج عليها أحد من المستشرقين بعد موت الثلاثة الآنفين الذكر.

فأن يأتي الذبابي الجابري بعد هذا، والأصالة والإبداع ليسا له بشيم، ويعترف بالفم المليان بأن لا جديد في تحقيب بلاشير، ثم لا يجد، مع ذلك، مندوحة من مسايرته في نهجه حذو القدة بالقدة، وكان كلام الليل يمحوه كلام النهار، على ما اعتادت هذه العقول الذبابية المتسفسطة، لقمة في التبلد والتناقض.

بل، لا يخسأ من تسمية تخريجه الراجح بالغيب والمبني فوق تخرصات لا برهان له عليها: تفسيرا،

بل، وزيادة في البلادة، يصف تفسيره هذا ب "الواضح"!!!!

قلت:

فقفو الجابري في هذه المسألة لنهج المستشرقين في نقض دعوى محكمة من دعاوى القرآن، وإصراره على ذلك، رغم وقوفه على عوارها، لدليل قاطع على زندقة الرجل، وأبت الأقدار إلا أن تفضحه متلبساً بها، لتختم مسيرته الدنيوية بها كخاتمة لأعماله.

ولا يسعنا سوى أن نقول في حقه، والترحم على الزنادقة والمنافقين محرم في الإسلام:

انتهينا من خناقك يا جابري وها قد أفضيت إلى ما قدمت.

قلت:

ولم يقتصر تهافت متفلسفة المنطقة، وليس صدفة أن يكونوا كلهم محسوبين على اليسار العربي المتهرئ فكراً وممارسة، على هذا العوار البنيوي فحسب، بل تعداه في حال المغاربة إلى ما هو أطم وأظلم وهو تدريس "فلسفة العلوم" وهي ليست لهم بتخصص، إلى طلبة شعبه الفلسفة، والأدب!!

وهو ما ينبئك بالملموس بهذا التمرين في العبث، عن مدى فهمهم وتمثلهم لموضوعاتهم وضعف الطالب والمطلوب فيهم.

وقد غرهم وجود لفظة "فلسفة" في مسمى هذا الحقل فتراموا عليه غير مدركين للورطة التي وقعوا فيها!.

ذلك، أن كل من ألف في فلسفة العلوم في الغرب بدءً من:

1) كارل بوبر (*Karl Popper*) (1902 - 1994) في مؤلفاته مثل: "منطق الاكتشاف العلمي" (*The Logic of Scientific Discovery*) 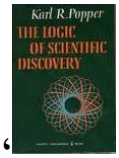، و"بؤس التاريخانية" (*The Poverty of Historicism*) 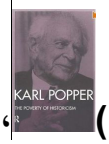، و"المعرفة الموضوعية: مقاربة تطورية" (*Objective Knowledge: an Evolutionary Approch*) 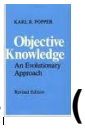، وغيرها،

2) ويوحنا بيير أولمو (*Jean pierre Ullmo*) (ت: 2002) في "الفكر العلمي المعاصر" (*La pensée Scientifique Moderne*) 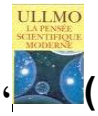،

3) وطوماس كون (*Thomas, S. Kuhn*) (1922 - 1996) في "بنية الثورات العلمية" (*The Structure of Scientific Discovery*) 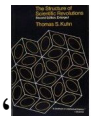،

4) وإيمر لاكاتوس (*Imre Lakatos*) (1922 - 1974) في "منهجية برامج البحث العلمي" (*The Methodology of Scientific Research Programs*) ،

5) وبول فيرابند (*Paul, K., Feyerabend*) (1924 - 1996) ، في: "ضد المنهجية" (*Against Method*) 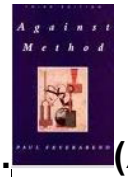...إلخ.

كانوا علماء فيزيائيين أو كيميائيين متخصصين في ميادينهم ويكتبون عن أشياء دقيقة مألوفة لديهم، بينما متفلسفينا الهواة المترامين على هذه الحقول ترامي الذباب على قمم الزبالة، في جهل مطبق مما يناقش في هذه الكتب، ويستعصي عليهم فهمها ولو شرحت لهم من طرف متخصصين، لضعف الطالب والمطلوب فيهم على ما قدمنا.

وقد جاءهم هذا الخلف المنطقي بين النظرية والممارسة من تقليدهم للتراثية الفرنسية في هذا المجال، ممثلة في غاستون باشلار (*Gaston Bachelard*) (1884 - 1962) الذي كان قد حصل على شهادة التبريز في الفلسفة ثم على دكتوراه في الأدب قبل أن يدرس فلسفة العلوم في السوربون، وغاب عنهم أن الرجل كان مخضرماً وجامعاً بين العلم والفلسفة في آن، حيث أنه درس الفيزياء والكيمياء بالسلك الثانوي لدهر!

ويظهر هذا الأثر المخضرم في مؤلفاته بوضوح مثل: "الفكر العلمي الجديد" (*Le Nouvel Esprit Scientific*) ، الذي يقابله على طرفي نقيض: "تكوين العقل العلمي: مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية"

Formation de l'esprit scientifique: contribution à une)

.(*psychanalyse de la connaissance objective*

وهكذا انقلب الرجل إلى محلل نفساني!

قلت:

وللمثقفين الفرنسيين عامة ولع بهذا النوع من التخريف الحر، المؤسس على شفا جرف {أنظر على موقعنا للوقوف على هذا النوع من التفدلك الفرنسي الحر والمتفلت من كل عقال: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس"

.

وهل هذا التخريف مما يستحق أن يترجم وينقل إلى الطلبة المغاربة، لولا إصابة هؤلاء الأساتيذ بالمرض القاتل الذي وصفه مالك بن نبي

، ب "قابلية المغاربيين التليدة للاستعمار"؟

بل، إن من بين هؤلاء المتفلسفة المغاربيين من دأب على المشاركة في "الحوار الإسلامي – المسيحي"، وهو مدغول في عقيدته، وجاهل بالمسيحية والإسلام معاً، فبالحرى أن يتعدى قدره ذلك إلى محاورة المسيحيين فيما يجمع بينهم وبين المسلمين وما يفرق!،

ولا عجب، إن كانت هذه المحاورات تنتهي في أغلب الأحيان، ومنذ انطلاقها سنة 1965، إلى أنفاق مسدودة!. ذلك أن المحاور المسيحي، الذي كانت تسنده مؤسسة مهيكلة، تابعة للسكرتارية الشخصية للبابا، كان يجد أمامه دوماً إما: سياسي لا يعرف ما يقدم ولا ما يؤخر في مثل هذه الحوارات، أو مثقف مهزوز العقيدة، أو هاوي لا هو في العير ولا هو في النفير!

وغير هؤلاء من الذبابيين والفيارسة الثقافيين المتخرجين من الجامعات الغربية والناقلين لترات الغرب بالوكالة.

وأول سؤال يتبادر لأول وهلة من خلال هذا الاستعراض المقتضب لسير هذه الشلة من الذبابيين والفيارسة الثقافيين العَيِيّين، الكلين على الغربيين في الأفكار والمناهج، والذين لا يستقلون بفكر ولا منهج ولا منظورية، ولا أن أحدهم امتلك فكراً أصيلا حقيقيا يوما ما، هو:

هل يعد أيّ موضوع من تلك هذه الموضوعات المجترة والمبتذلة التي تخصص فيها كل هذا الرهط من المثقفين وطوحوا بها في كل منتدى ومحفل، وأفنوا أعمارهم فيها بذات غنية فيما انتدبوا أنفسهم للقيام به أو الدعوة إليه ؟

والمصاب الجلل، هو أن أكثر هؤلاء الزنادقة امتهنوا التعليم، وأثروا لقرن كامل في أجيال متلاحقة من التلاميذ وتلامذة التلاميذ الفاشلين الذين لا يصلحون لشيء، إلى أن غدوا عبئاً مزدوجاً ثقيلاً على مؤسسات التعليم في هذه الأقطار من جهتين:

أ) عبئاً على كاهل الميزانيات العامة، حيث صارت أعدادهم المتزايدة تستنزف ربع هذه الميزانيات أو ثلثها دون مردودية تذكر،

ب) وعبئاً على التنمية، لأنهم بحكم عدم تلاؤم تكوينهم مع سوق الشغل، يكبحونها بدل أن يكونوا أدوات أو تروس إنطلاقها.

وهل يعقل في منطق الوجود التأسيس لحضارة بأمثال هذا الجمع النشاز من الماضويين المتشاكسين مع نبض برنامج الوجود الذي هو كل يوم في شأن، والذي لا يكرر وقائع التاريخ ثانية قط!، أو بأمثال هؤلاء الذبابيين والفيارسة المغتربين، والانفصاميين، وأنصاف المتعلمين، والطوباويين الحالمين الذين لا يفرقون بين التمني وبين الإنجاز؟

وتأبى سنن الله في خلقه وفي الكون، أن يكون لمثل هذه الأصناف في البناء الحضاري من نصيب بحال.

فكيف بمن لم يُدرّب قط على حل المعضلات منذ الصغر، ولا بتحويل رصيده المعرفي إلى رأس مال يستثمر وينمى. ولا اهتدى إلى إقامة مؤسسات مستقلة عن الدولة تعنى بتوطين التقنية والعلوم، ولا عمل على محو الأمية المستشرية بين جيله، ولا تعلم كيف يتداول مقاليد الحكم بطرق حضارية،...إلخ، أن يخرج من غل وإصر التخلف، وهو بنفسه يعد حجر عثرة تحول دون تجاوز مثل هذا التخلف البنيوي، إلا أن يلقى به خارج الطريق، أو يخرج من جلده!؟

وهل يُعد هذا غريباً في مجتمع يناهز الثلاثمائة مليون نسمة، ويمتد من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي، ولا ينتج، بحسب ما جاء في "تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003"

، سوى أقل من ألفي كتاب في السنة، ثلاثون في المائة (30 %) منها كتب دينية من الكتب الصفراء المتجاوزة، لم يستحدث فيه قول ولا تجدد فيها نظر منذ القرن الثالث الهجري، وجل موضوعات البقية الباقية من الإصدارات ضحلة الغور وأكثرها تسطيحات مكرورة ومجترة لا غنية فيها، ومع ذلك تظل قابعة في الأكشاك ورفوف المكتبات لسنين وسنين، دون أن تجد لها من قراء أومن متعهدين منتظمين!؟

وقد ازداد الأمر سوءا، إلى درجة أن هذه التقارير لم تعد تهتم بالموضوع، كما يستشف من تقرير سنة 2009
وكل التقارير قبله.

أين أمة "إقرأ باسم ربك الذي خلق"، التي جعلت من تَعَلُّم القراءة فرضاً من فروض العين، من كل هذا الغثاء ؟

انتهى وتليه الحلقة الرابعة

شروط النهضة الحقة: من هنا نبدأ